آيات الغيث في القرآن الكريم
دراسةً موضوعيةً

إعداد الدكتور

سعيد بن محمد جمعان الهدية

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة الباحة

المملكة العربية السعودية

آيات الغيث في القرآن الكريم دراسةً موضوعيةً

سعيد بن محمد جمعان الهدية

تخصص التفسير وعلوم القرآن، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة الباحة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: saiedgomaan@gmail.com

الملخـــص

فيتكون هذا البحث من الملخص، والمقدمة، وتشتمل على أهمية الموضوع، وأهدافه، وخطة البحث فيه. ومبحثين، تناولت المبحث الأول في الآيات الواردة في الغيث بمعنى المطر، في عدَّة مطالب حول موضوع: نزول الغيث من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، واستغاثة المؤمنين يوم بدر، والغيث منَّة من الله تعالى على عباده وجميع خلقه، والغيث بشارة من الله تبارك وتعالى بعد الشدة والعسر، وبيان حقارة الدنيا وسرعة زوالها وتشبيهها بالغيث. والمبحث الثاني: وذكرت فيه الآيات الواردة بمعنى الإغاثة، في خمسة مطالب تناولت فيها موضوع استغاثة المؤمنين يوم بدر، واستغاثة الكفَّار في نار جهنَّم، واستغاثة الرجل القبطي بموسى عليه السلام، واستغاثة الوالدين، ويغوث الصنم الذي عبده قوم نوح عليه السلام، ثمَّ الخاتمة، وفيها أهم النتائج، ثم ذيلت البحث بفهرس المصادر والمراجع، ثمّ فهرس الموضوعات.

الكلمات المفتاحية: الغيث – المطر – الغيب –الاستسقاء – الاستغاثة – يغوث – رحمة الله.

Rain Verses in The Holy Qur'an
An Objective Study

By: Said Bin Mohammed Jamman Al-Hadiah
Majored Interpretation and Qur'an Sciences
Department of Islamic Studies
Faculty of Arts and Humanities
Baha University
Kingdom of Saudi Arabia
E-mail: saiedgomaan@gmail.com

Abstract

This research consists of an introduction, two chapters and a conclusion. The introduction draws attention to the importance of the topic, its objectives and the research plan. The first chapter handles rain verses as revealed in many instances in the Holy Qur'an. These verses deal with rain fall as an unseen matter which is known by Allah, glory be to Him. The verses also refer to the believers seeking help on the Day of Badr. Rain is also seen as a grace of God bestowed upon His worshippers and all creatures. In addition, rain is interpreted as good news from Allah, glory be to Him, after straitened circumstances and hard times. The verses of rain emphasize the fact that life is humble, meaninglessness and ephemeral, hence it is likened to rain. The second chapter handles the verses concerned with rescue and help. It highlights five requirements; seeking help on the Day of Badr, the disbelievers seeking help and rescue from the hellfire, the Coptic asking Moses- peace be upon him- for help, the parents seeking help, and Yaguth; the idol which people worshipped in the time of Prophet Noah. Finally, the conclusion sums up the findings of the research which are followed by a list of the works and resources used in the research.

Key words: seeking help, rain, unseen, pray for rain, Yaguth, God's Mercy

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعد:

فشرف العلم بشرف المعلوم، وإنَّ من أجلَّ العلوم وأنفعها وأعظمها بركةً، علمُ التفسير كيف لا!! وهو يتعلق بكلام ربَّ البريّة جلَّ في علاه، ففيه قربة وعبادة لله تبارك وتعالى، ومن ذلك التفسير الموضوعي، الذي يتناول موضوعًا من موضوعات القرآن الكريم، وجمع آياته، والغوص في معانيه، والتأمل في أسراره، والحديث عن عظاته وعبراته، وبيانها للقارئ والمطالع عمومًا، والمهتم بتفسير الكتاب العزيز خصوصًا؛ فإنَّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم على أسلوب العرب لغةً وحياةً واجتماعًا.

أنزله لغةً ليفحمهم في البلاغة، ويتحداهم في الفصاحة.

وأنزله حياةً واجتماعًا، ليدلهم من خلال معيشتهم، وأسلوب معاشهم، على دلائل الربوبية، وأمارات الألوهية.

ومن تلك الدلائل والأمارات نزول الغيث، وما يتصل به من الإغاثة والاستغاثة، واللجأ إلى الواحد الأحد، والتضرع للفرد الصمد.

ومن أجل ذلك فقد أحببت تقديم هذا البحث المتعلق بمادة الغيث في القرآن الكريم، والكشف عن دلائله ومعانيه وقد جمعت فيه آيات الغيث في القرآن الكريم؛ لأتناولها بالبحث والدراسة، مستعينًا بالله تبارك وتعالى، فهو المعين وغاية القصد، وهو المسدد والموفق والمعين.

أهمية الموضوع:

للغيث عند العرب مكانةٌ عظيمةٌ؛ وذلك كونه السبب الرئيس في استمرار حياتهم، وتوفير الكلأ والمرعى لأنعامهم، التي منها يأكلون، وعليها يركبون، وبها يتجرون.

ولكلمة الغيث علاقةٌ بالإغاثة والاستغاثة وذلك لرجوعها إلى أصلٍ لغويٍ واحدٍ، ومعنيٍ واحدٍ.

وقد حاولت في هذا البحث جمع ودراسة المفردات المتعلقة بهذه المادة، والوقوف على أسرار بلاغتها، ووجوه دلالتها وأنواع معانيها في القرآن الكريم.

وتأتي أهمية الموضوع من عدة جوانب، أبرزها ما يلي:

١ – أنَّه يتعلق بدراسة أبلغ كتابٍ، وأفصح كلامٍ، وهو القرآن الكريم.

٢ – مكانة الغيث عمومـًا عند العرب، وذلك لقلة الأنهار وموارد المياه العذبة في أماكن عيشهم.

أسباب اختيار الموضوع:

قمت باختيار الموضوع لعددٍ من الأسباب، وهي كما يلي:

١ – الوقوف على بلاغة القرآن الكريم، ودلائل إعجازه.

٢ – معرفة معاني ودلالات مادة (الغيث والإغاثة) في القرآن الكريم.

٣– بيان طريقة القرآن الكريم في الحديث عن آيات الغيث.

الدراسات السابقة:

بعد البحث لم أجد حول هذا الموضـــوع أي دراســـة علمية أكاديمية، وإنَّما هناك العديد من المقالات المتفرقة تتحدث عن بعض الجزئيات، خاصـــة فيما يتعلق ببيان الفرق بين الغيث والمطر وليس هذا محل هذه الدراسة.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

فالمقدمة، وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث فيه.

والتمهيد في التعريف بالغيث والإغاثة.

المبحث الأول: الآيات الواردة في الغيث بمعنى المطر، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نزول الغيث من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا

تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[لقمان: ٣٤].

المطلب الثاني: الغيث منَّة من الله تعالى على عباده وجميع خلقه.

في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[الشورى: ٢٨].

المطلب الثالث: الغيث بشارة من الله تبارك وتعالى بعد الشدة والعسر.

في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[يوسف: ٤٩].

المطلب الرابع: **بيان حقارة الدنيا وسرعة زوالها وتشبيهها بالغيث.**

في قول الله تبارك وتعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ [الحديد: ٢٠].

المبحث الثاني: الآيات الواردة بمعنى الإغاثة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: استغاثة المؤمنين يوم بدر

في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال: ٩].

المطلب الثاني: استغاثة الكفَّار في نار جهنَّم

في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

المطلب الثالث: استغاثة الرجل القبطي بموسى عليه السلام

في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: ١٥].

المطلب الرابع: استغاثة الوالدين.

في **قول الله تبارك وتعالى:** ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا

يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧].

المطلب الخامس: يغوث الصنم الذي عبده قوم نوح عليه السلام.

في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح: ٢٣].

الخاتمة، وفيها أهم النتائج.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

تمهيد في التعريف بالغيث والإغاثة

الغيث في اللغة مشتق من مادة (غوث).

قال ابن فارس[(١)]: "الغين والواو والثاء كلمة واحدة، وهي الغوث من الإغاثة، وهي الإغاثة والنصرة عند الشدة"[(٢)].

ومنه قول الرجل: واغوثاه[(٣)]، ومنه قول هاجر[(٤)] أم إسماعيل[(٥)] عليها السلام: ((قد أسمعت إن كان عندك غِوَاثٌ))[(٦)].

(١) هو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، له المجمل في اللغة وهو على اختصاره جمع شيئًا كثيرًا، وحلية الفقهاء ورسائل أنيقة ومسائل في اللغة كان إمامًا في علوم شتى وخصوصًا اللغة فإنه أتقنها توفي بالري سنة (٣٩٠ هـ). ينظر: معجم الأدباء (٤/ ٨٠)، وفيات الأعيان (١/ ١١٨) تاريخ الإسلام (٨/ ٧٤٦).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٤٠٠)، مادة (غوث).

(٣) ينظر مادة (غوث): الصحاح (١/ ٢٨٩)، المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٤٨).

(٤) هي: هاجر ويقال: آجر القبطية، وهي أم إسماعيل عليه السلام، كانت للجبار الذي وهبها لسارة فوهبتها سارة لإبراهيم عليه السلام، يقال إنها توفيت ولابنها إسماعيل عشرون سنة، ولها تسعون سنة، فدفنها إسماعيل في الحجر. ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٠/ ١٤٤)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٠٢)، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور (ص: ٥٢٩).

(٥) هو: إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، ولد ولإبراهيم الخليل ست وثمانون سنة، ثم سافر به وبأمه إلى مكة ووضعهما هناك بأمر من الله تعالى، ومن ذريته كانت العرب العدنانية، وكان من سلالته من الأنبياء خاتمهم، سيدنا محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي ﷺ، ومات وله مائة سنة وثلاثون سنة، ودفن في الحجر مع أمه هاجر. ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٧)، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (١/ ١١٠).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، (٤/ ١٤٢)، رقم (٣٣٦٤).

ومنه تسـمية الصـوفية[١] الغوث، لأحد مراتب الولاية عندهم، ومعناه: القطب حينما يُلتجأ إليه، ولا يسمى في غير ذلك الوقت: غوثًا[٢].

ويسـمى المطر غيثًا؛ لما فيها من رفع الكرب، ودنو الفرج، خاصـة عند العرب، ويقولون: غاث الله البلاد يغيثها غيثًا، إذا أنزل بها الغيث[٣].

ومنه قولهم: اللهمَّ أغثنا[٤]، ويسمى الكلأ الذي ينبت من ماء السماء غيثًا أيضا، لما فيه من كثرة المرعى للأنعام[٥].

ويقال: فرس ذو غيثٍ، إذا أتى بجري بعد جري، وسمي الفرس غيثًا، لحصول معنى الإغاثة من جريه[٦].

(١) هم: جماعة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضـاد للانغماس في الترف الحضـاري، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صـارت طرقًا مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخّى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق إتباع الوسـائل الشـرعية. ينظر: الموسـوعة الميسـرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصـرة (١/ ٢٤٩)، موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب (١/ ٤١٠).

(٢) التعريفات (ص: ١٦٣).

(٣) تهذيب اللغة (٨/ ١٥٩)، مادة (غوث).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٩٣)، مادة (غوث).

(٥) تهذيب اللغة (٨/ ١٥٩)، مادة (غوث).

(٦) تهذيب اللغة (٨/ ١٥٩)، مادة (غوث).

المبحث الأول

الآيات الواردة في الغيث بمعنى المطر

المطلب الأول: نزول الغيث من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى.

استأثر الباري ﷻ بعلم الغيب، وجعل ذلك من اختصاصه به جلَّ في علاه، ولا يُطلع عليه أحداً إلا من ارتضى ممن شاء واصطفاه من ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين، وجعل سبحانه مفاتيح الغيب خمسةً بيّنها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[لقمان:٣٤].

وتُعد هذه الآية من الدلائل العظيمة على تفرد الله تعالى بالربوبية، واستحقاقه بالطاعة والعبودية.

وقد اشتملت الآية على أمورٍ غيبيةٍ لا يعلمها إلا الله تعالى، قال ابن عطية[(١)]: "الآية حاصرةٌ لمفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى ولن تجد من المغيبات شيئًا إلا هذه أو ما يعيده النظر، والتأويل إليها"[(٢)].

وقال ابن كثير[(٣)]: "هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه

---

(١) هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي، المعروف بابن عطية، أبو محمد، ولد في عام (٤٨١هـ)، من شيوخه: أبوه وأبو علي الغساني وأبو عبد الله بن محمد بن فرج، ومن تلامذته: أبو بكر بن ابن أبي حمزة وأبو القاسم بن حبيش وأبو جعفر بن مضي، ومن كتبه: المحرر الوجيز في التفسير، وهو فقيه حافظ محدث مشهور أديب نحوي شاعر بليغ كاتب، توفي في سنة (٥٤٢هـ). ينظر: بغية الملتمس (ص: ٣٨٩)، الديباج المذهب (٢/ ٥٧)، البلغة (ص: ١٧٧).

(٢) المحرر الوجيز (٤/ ٣٥٦).

(٣) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء القرشي، ولد سنة (٧٠١ هـ)، له تفسير القرآن العظيم والبداية والنهاية ومسند الفاروق وجامع المسانيد والسنن، إمام فقيه محدث مؤرخ، توفي سنة (٧٧٤ هـ). ينظر: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (١/ ٤٧١)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ٤٤٥)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٢/ ٤١٤).

تعالى بها"[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما[2] أن رسول الله ﷺ قال: ((مفاتح الغيب خمس: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾))[3].

وعلماء الفلك والحساب وإن علموا بأوقات الخسوف والكسوف، وأزمنة نزول الأمطار بالأدلة الحسابية، فإن علمهم بذلك ليس علماً بغيبٍ، بل بأماراتٍ وأدلةٍ تدخل في مقدور الإنسان، ولا سيما أن بعضها قد يكون أحياناً في مرتبة الظن، لا في مرتبة اليقين[4].

والغيث من الأمور المذكورة ضمن الأشياء الخمسة من مفاتيح الغيب، وهي من الأدلة التي أنزلها الله تعالى على نبيه ﷺ، محاججةً للكفار، ومجادلةً للمشركين، في عدم استحقاق أصنامهم للعبادة، وعروهم عن أسباب السيادة.

ودلائله على تفرد الله تعالى بالربوبية والعظمة، واستحقاقه بالألوهية ظاهرةٌ من أمورٍ كثيرةٍ، منها:

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٥٢).

(٢) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني، أسلم قديما مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه، وقدمه في ثقله، واستصغر يوم أحد، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، توفي سنة (٧٣هـ). ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٥٠)، أسد الغابة (٣/ ٢٣٦)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٧٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾، (٦/ ٥٦)، رقم (٤٦٢٧).

(٤) تفسير المراغي (٢١/ ٩٩).

أولاً: من دلالة تسميته بالغيث، فقد سُمي المطر غيثًا؛ لأنه يغيث الناس من الجوع والفقر[(١)].

ولا مُغيث في الحقيقة سوى الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النمل: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت: ٦٥].

ثانيا: مكان نزوله من السماء، حيث لا يقدر على ذلك أحدٌ غيره[(٢)].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾[النور: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الروم: ٢٤].

ثالثا: أنَّ الله تعالى هو الذي يسوقه إلى حيث يشاء[(٣)]، كما قال تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾[النور: ٤٣].

رابعا: وقت نزول المطر، حيث لا يعلم وقته تحديداً إلا الله تعالى، فهو الذي يعلم ينزله، أليْلاً أم نهاراً[(٤)].

قال الطاهر ابن عاشور: "والمقصود أيضًا عنده علم وقت نزول الغيث وليس المقصود مجرد الإخبار بأنه ينزل الغيث؛ لأن ذلك ليس مما ينكرونه، ولكن نظمت الجملة بأسلوب الفعل المضارع

---

(١) أوضح التفاسير (١/ ٥٠٣).

(٢) جامع البيان (١٨/ ٥٨٤).

(٣) التفسير القرآني للقرآن (١١/ ٥٩٥).

(٤) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (٩/ ٥٧٤١)، النكت والعيون (٤/ ٣٤٩)، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٤٣٦).

ليحصـــل مع الدلالة على الاســـتئثار بالعلم به الامتنان بذلك المعلوم الذي هو نعمة، وفي اختيار الفعل المضارع إفادة أنَّه يجدد إنزال الغيث المرة بعد المرة عند احتياج الأرض"[(١)].

خامسا: أنَّ الله تعالى هو الذي يتحكم في نزوله على أيّ بلدٍ دون غيره، وفي أيّ محلٍ يعيّنه ﷻ[(٢)].

سادسا: أنَّ الله تعالى هو المتحكم في مقدار نزول المطر، حسب ما تقتضيه الحكمة[(٣)].

سابعاً: أنَّ هذه الأمور الخمسة تشتمل على الدليلين المكررين في القرآن لإثبات البعث:

أحدهما: إحياء الأرض بعد موتها، حيث قال تعالى هنا: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ وقال في موضـع آخر: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠] وقال تعالى: ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩].

والثاني: الخلق ابتداء، حيث قال هنا: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾، وقال في موضـع آخر: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧][(٤)].

ثامناً: أكّد الله تبارك وتعالى اختصاصه بعلم الغيب، فما يدري أهل السموات والأرض بوقت نزول الغيث ولا مكانه، وأمَّا ما يسبقه من إنشاء الرياح وتسييرها، وتأليف السحب وإلقاحها، وتوزيع قطراتها على بقاع الأرض ومن فيها، فهذه لا أمارة عليها ثابتةٌ، ولا علامةٌ قاطعةٌ إنما هي أســبابٌ، قال ابن

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ١٩٧).

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٥٠٥)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٢١٨).

(٣) روح المعاني (١١/ ١٠٦).

(٤) التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ١٨٠).

عباس[(١)]: "هذه الخمسة لا يعلمها إلا الله تعالى، ولا يعلمها مَلَكٌ مقرّبٌ، ولا نبيٌ مرسلٌ"[(٢)] فمن ادّعى أنه يعلم شيئًا من هذه فقد كفر بالقرآن لأنه خالفه، أما الأنبياء فيعلمون كثيراً من الغيب بتعريف الله تعالى إياهم. وبذلك يبطل كون الكهنة والمنجمين ومن يستسقي بالأنواء عالمين بالغيبيات[(٣)].

تاسعاً: قال القاضي أبو بكر ابن العربي[(٤)] في كتابه "أحكام القرآن": "عند الله تعالى علم الغيب، وبيده الطرق الموصلة إليه، ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فكل من قال: إنه ينزل الغيث غدا -أي على جهة اليقين، لا مجرد الاحتمال- فهو كافر. ومن قال: إنه يعلم ما في الأرحام وادعى ذلك واجبًا في الخلقة فهو كافر. ومن ادعى ما يكسبه الإنسان في مستقبل العلم فهو كافر"[(٥)].

عاشراً: أنَّ أحسن طرق التفسير وأصحَّها أن يُفسَّر القرآن بالقرآن، إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله، فما أُجمل من القرآن في موضع فُصِّل في موضع آخر، وما اختصر في موضع بُسط في موضع آخر، وهذِه الطريقة في التفسير كان ينتهجها رسول الله ﷺ، حيث كان يفسِّر بعض آيات القرآن ببعضها، ومن ذلك

---

(١) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس القرشي الهاشمي المدني، ابن عم رسول الله ﷺ، كان يقال له: الحبر، البحر لكثرة علمه، توفي سنة (٦٨ هـ). ينظر: أسد الغابة (٣/ ٢٩١)، الإصابة (٤/ ١٢١)، تهذيب الكمال (١٥/ ١٥٤).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٤٣٦).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٠٢)، التيسير في أحاديث التفسير (٢/ ١٢٨)، التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ١٨١).

(٤) هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي القاضي، ولد سنة (٤٦٨ هـ)، من كتبه: أحكام القرآن، والقبس في شرح موطأ مالك بن أنس، وهو فقيه حافظ عالم متقن أصولي محدث مشهور أديب رائق الشعر رئيس وقته، وتوفي سنة (٥٤٣هـ). ينظر: بغية الملتمس (ص: ٩٢)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٧)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٩٧).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٢٥٩).

تفسـيره مفاتح الغيب في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

الحادي عشر: الفلكيون وإن علموا الخسوف والكسوف، ونزول الأمطار بالأدلة الحسابية، فليس ذلك غيبًا، بل بأماراتٍ وأدلةٍ تدخل في مقدور الإنسان، ولا سيما أن بعضها قد يكون أحيانًا في مرتبة الظن، لا في مرتبة اليقين، ومع تقدُّم العلوم حاول البعض التنبؤ به بناءً على حساباتٍ دقيقةٍ لسرعة الرياح ودرجة الحرارة وغيرها، وربما صَحَّتْ حساباتهم، لكن فاتهم أن لله أقداراً في الكون تحدث ولا تدخل في حساباتهم، فكثيراً ما نُفَاجأ بتغيُّر درجة الحرارة أو اتجاه الريح، فتنقلب كل حساباتنا[2].

الثاني عشر: لما خصص الله تبارك وتعالى هذه الأشياء الخمسة ومنها الغيث، عمَّم علمه بجميع الأشياء فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ محيطٌ بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبايا، والسرائر، ومن حكمته التامة، أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأنَّ في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك ومن أعظمها أن يتعلق الخلق بالخالق[3].

---

(١) معالم بيانية في آيات قرآنية (٢٦/ ٢).

(٢) تفسير المراغي (٢١/ ٩٩)، تفسير السعدي (ص: ٦٥٣)، تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٧٦٧).

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٧٦٧).

المطلب الثاني: الغيث منَّة من الله تعالى على عباده وجميع خلقه.

الله تبارك وتعالى خلق الخلق، وبسط الرزق، وهيّأ أسبابه، وجعل منه الغيث، وامتنَّ به على عباده، وجعل بعد الشدة الفرج، وبعد العسر اليسر، فهو ولي النعمة، المسدي لها المستحق للشكر والثناء والحمد، جاء بيان ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[الشورى: ٢٨].

وقد جاءت هذه الآية في سياق الامتنان على العباد، وإقامة الحجة على الكفار، وأنَّه المتولي لرزق الكائنات كلها، والمتصرف بأسبابها، هو الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف: ٥٧][(١)].

فالله هو الذي ينزل المطر من السماء فيغيث به الناس، من بعد ما يئسوا من نزوله ومجيئه[(٢)].

وفي الحكمة من ترك نزول الغيث حتى وقت قنوط العباد فوائد كثيرةٌ، منها:

١- تنبيه الكفار أنَّ أصنامهم وأوثانهم لا تملك شيئًا، فلو كان لهم من الأمر شيءٌ، لأسرعوا في إغاثة من يعبدونهم[(٣)].

٢- أنَّ في ذلك أيضًا تنبيهًا لهم على خلوّ الكواكب والأنواء من التأثير في الكون، وأن لها مطلق التدبير والتصرف في الأمور، وصيغة القصر في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ تفيد قصر القلب؛ لأن في السامعين مشركين يظنون نزول الغيث من تصرف الكواكب، وفيهم المسلمون الغافلون، نزلوا منزلة من يظن نزول الغيث منوطًا بالأسباب المعتادة لنزول الغيث؛ لأنهم كانوا في الجاهلية يعتقدون أنَّ

(١) ينظر: الكشف والبيان (٨/ ٣١٨).

(٢) جامع البيان (٢٠/ ٥١١).

(٣) تأويلات أهل السنة (٩/ ١٢٦).

المطر من تصرف أنواء الكواكب[١].

وعن زيد بن خالد الجهني ﷺ أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من الليلة، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس، فقال: ((**هل تدرون ماذا قال ربكم**؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((**أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب**))[٢].

٣- أنَّ في ترك نزول الغيث حتى وقت قنوط العباد، ونزول الغيث من بعد ما يئس الناس منه، أدعى لهم إلى شكر منزله وهو الله ﷻ، والمعرفة بموقع إحسانه والقيام بواجب شكره[٣].

٤- أنَّ في قنوط العباد دليلاً على فقرهم الذاتي، وذلهم الدائم، حتى إذا ظهر إياس الناس من نزول المطر، فإنه سبحانه ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم:٤٩][٤].

فهو سبحانه الذي ينزل المطر على عباده، من بعد أن انتظروه فترة طويلة حتى ظهرت على ملامحهم علامات اليأس، وبدأت على وجوههم أمارات القنوط[٥].

٥- أنَّ الله تبارك وتعالى هو الذي ينشر منافع الغيث وآثاره في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان ومن رحمته الواسعة ظهور الشمس؛ لأنه إذا دام المطر سئم فتجيء الشمس بعده[٦].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥/ ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، (٢/ ٣٣)، رقم (١٠٣٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، (١/ ٨٣)، رقم (٧١).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥٤)، تفسير البغوي (٧/ ١٩٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٠٦).

(٥) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٣/ ٣٦).

(٦) تفسير الألوسي (١٣/ ٣٩).

٦- وفيه أنَّ من البلاغة والبيان أن يأتي المتكلم في أول كلامه، بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه، وهو إما أن يكون مجملاً يحتاج إلى تفصيل، أو موجهًا يفتقر إلى توجيه، وقد جاء هذا في الآية مؤذنةً بمجيء الرجاء بعد اليأس، والفرج بعد الشدة، والمسرة بعد الحزن. وما من مشهد ينفض هموم القلب وتعب النفس كمشهد الأرض، تتفتح بالنبت بعد الغيث، وتنتشي بالخضرة بعد الموات[(١)].

٧- وفي كلامه دليلٌ على نعمته في الأرض، فالله ﷻ يدل البشر على سنّته في الكون في ترعرع النبات؛ لأن النبات يريد رحمته التي تتجلّى في الماء الخفيف، فينتعش، ولذلك لم يذكر المطر الذي يغرقه[(٢)].

٨- وفيه من اللطائف العظيم أنَّ الله تبارك وتعالى ختم هذه بما يتناسب مع معنى الإغاثة وفي هذا يقول الطاهر ابن عاشور رحمه الله: "وذكر صفتي الولي الحميد دون غيرهما؛ لمناسبتهما للإغاثة؛ لأن الولي يُحسِن إلى مواليه، والحميد يعطي ما يُحْمَد عليه"[(٣)].

٩- وفيها أنَّ المطر لا يلفظ به القرآن إلا في موضع الانتقام بخلاف الغيث الذي يذكره القرآن في الخير، وهنا يعرض سؤال: هل الماء والغيث كلاهما مطر؟ ذكر الغيث في آية الحديد وماء في آية الزمر وهناك فرق بين الماء والغيث لكن الماء والغيث في الآيتين هو ما ينزل من السماء لكن هذا الماء الذي ينزل من السماء قد يكون غيثًا وقد يكون مطراً بحسب التعبير القرآني. فالمطر يستعمله الله ﷻ في العقوبات ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٤] ولم يستعمل القرآن المطر إلا في العقوبة ﴿ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِ ﴾ [الفرقان: ٤٠]، ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر: ٨٢]، ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣] أما الغيث فيستعمله في الخير. هذا في الاستعمال القرآني أما في الحديث فاستعمل المطر للخير ولكن للقرآن

(١) ينظر: الجدول في إعراب القرآن (٢٥/ ٤٢) القواعد والأصول وتطبيقات التدبر (ص: ١١٤) الآيات الكونية دراسة عقدية (ص: ٣٥٠).

(٢) جماليات المفردة القرآنية (ص: ٤٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٥/ ٩٦). أسرار البيان في التعبير القرآني (ص: ٠)

خصوصية في الاستعمال اللغوي. والعرب فهمت هذا الفرق من الاستعمال[١].

١٠- والآية فيها قنوط أولاً ثم إنزال الغيث والأول (القنوط) يحتاج إلى صبرٍ والثاني (إنزال الغيث) يحتاج إلى الشكر لأن إنزال الغيث رحمةٌ تحتاج إلى الشكر أما القنوط فكان عندما كان المطر محبوسًا وهو أمرٌ يحتاج إلى الصبر[٢].

١١- فيها أنَّ الله سبحانه محيي القلوب فكما أنه ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾، فبعدما أصابت الأرض جدوبة، وأبطأ نزول الغيث، وقنط الناس من مجيء المطر، وأشرف الوقت على حدّ الفوات ينزّل الله بفضله الغيث، ويحيي الأرض بعد قنوط أهلها.. فكذلك العبد إذا قسا قلبه وضعفت همَّته في الطاعة والعبادة فإنَّ الإيمان يتجدد والنفس تنشط بتلاوة الكتاب العزيز[٣].

١٢- وفيها أنَّ إنزال الغيث من بعد ما يئس الناس منه، وذلك أدعى لهم إلى شكر منزله، والمعرفة بموقع إحسانه لأن الفرح بحصول النعمة بعد البلية أتمُّ، قال مقاتل: حبس الله تعالى المطر عن أهل مكة سبع سنين، حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر، فذكرهم النعمة، وهو الولي لأهل طاعته، الحميد عند خلقه الذي يتولى عباده بإحسانه الحميد المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته.[٤]

١٣- وفيها أن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ جاء بعد قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فهذه الآية تعليلٌ لقبض المطر، وقبض المطر نموذج لقبض الرزق[٥].

---

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (ص: ٢٦٥).

(٢) تفسير الزمخشري (٤/ ٢٢٤)، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (ص: ٨٨١).

(٣) لطائف الإشارات (٣/ ٣٥٤).

(٤) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٦) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٦٦)، اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ١٩٨)، الأساس في التفسير (٩/ ٥٠٨٥).

(٥) تفسير أحمد حطيبة (٤٢٧/ ٦).

المطلب الثالث: الغيث بشارة من الله تبارك وتعالى بعد الشدة والعسر.

في قصةٍ عظيمةٍ من قصص القرآن الكريم التي صورت لنا حياة نبيٍ عظيمٍ من أنبيائه المرسلين، في حديثٍ متسقٍ شيّقٍ عن تفاصيل أمورٍ وأحداثٍ جسيمةٍ، وفي تصويرٍ بليغٍ عن ابتلاءات قدَّرها الله على نبيه الصديق يوسف عليه السلام، ومنها تلك الرؤيا العجيبة التي رآها الملك واحتار في تأويلها قومه جميعًا، حتى فسّرها يوسف عليه السلام وبيَّن فيها سنين الرخاء وما يعقبها من سنين الشدة والضيق، ثم بشَّر بأمرٍ زائدٍ على الرؤيا بما علمه الله من التأويل وزاده عليها من الوحي، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾[يوسف: ٤٩]، وقد اختلف المفسرون في المراد بالغوث في هذه الآية[(١)]:

فذهب بعضهم إلى أن المراد به الغيث والمطر الذي ينزل من السماء، من قولك: غاث الله البلاد يغيثها.

بينما ذهب آخرون إلى أنه من باب الإغاثة، فيفتح على الناس الرزق، ويغيثون بعضهم، ويعينون بعضهم، من قولهم: أغثت فلانا أغيثه إغاثة، إذا أنقذه من كرب أو غم.

قال الطاهر ابن عاشور: "قوله: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ فهو بشارة وإدخال المسرة والأمل بعد الكلام المؤيس، وهو من لازم انتهاء مدة الشدة، ومن سنن الله تعالى في حصول اليسر بعد العسر"[(٢)].

وقال بعضهم:" وهذا القول من يوسف غير متعلق بتأويل الرؤيا وإنما هو استئناف خبر أطلقه الله تعالى عليه من آيات نبوته"[(٣)].

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٣/ ١٩٣)، تأويلات أهل السنة (٦/ ٢٥٠)، بحر العلوم (٢/ ١٩٦)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٣٢٩)، الكشف والبيان (٥/ ٢٢٧)، التفسير البسيط (١٢/ ١٣٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٨٧).

(٣) النكت والعيون (٣/ ٤٥).

فما حصل في ذلك المنام شيء يدل عليه بل حصل ذلك من الوحي فكأنه عليه السلام ذكر أنه يحصل بعد السبعة المخصبة والسبعة المجدبة سنة مباركة كثيرة الخير والنعم، وعن قتادة زاده الله علم سنة[(١)].

وقال أبو جعفر الطبري: "وهذا خبرٌ من يوسف عليه السلام للقوم عما لم يكن في رؤيا ملكهم، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله دلالةً على نبوته وحجة على صدقة"[(٢)].

وهذا كناية عن بدء حلول الرخاء بهم، بعد تلك السنوات الشداد، وما قاله يوسف عليه السلام عن هذا العام الذي يأتي في أعقاب السنوات السبع الشداد، لا مقابل له في رؤيا الملك، بل هو خارج عنها، وذلك لزيادة التبشير للملك والناس، ولإفهامهم أن هذا العلم إنما بوحي من الله تعالى الذي يجب أن يخلص له الجميع العبادة والطاعة[(٣)].

ومن اللطائف العلمية في هذه الآية الكريمة: "التعبير عن الجدب بالسنة، وعمّا فيه رخاء بالعام"[(٤)].

ويقال: هو من الإغاثة يعني: يغاثون بسعة الرزق[(٥)].

وأيضـًا فيها زيادة على ما وقع السؤال عنه فيستدل به على أنه لا بأس بذلك في تعبير الرؤيا والفتوى[(٦)].

وفيها إجابة على سؤال يتردد في خواطر الناس.. وهو: ماذا سيكون عليه الحال بعد هذه السّنوات المجدبة؟ وهل يجيء بعدها الخصب الذي اعتادوه، أم أنها ستكون سنة تجمع بين الخصب والجدب؟ فكان هذا الذي بشّرهم به، وأراهم منه طريق النجاة، فسيحـًا، رحيبـًا: ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ

(١) تفسير الرازي (١٨/ ٤٦٥).

(٢) جامع البيان (١٦/ ١٢٨).

(٣) ينظر: التفسير الواضح (٢/ ١٨٢)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٣٧٢).

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤/ ١١٣).

(٥) تفسير السمرقندي (٢/ ١٩٦).

(٦) الإكليل في استنباط التنزيل (ص: ١٥٥).

وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾، إنَّه عامٌ فيه خيرٌ كثيرٌ، يذهب بكل ما عانى الناس من بلاءٍ وشدةٍ خلال هذه السنوات الأربع عشرة! وفي هذا ما يشدّ عزمات الناس، ويمسك بهم على طريق الصبر والاحتمال، حيث تتوارد عليهم الحياة في شدتها ولينها، وضرّائها وسرائها[(١)].

المطلب الرابع: بيان حقارة الدنيا وسرعة زوالها وتشبيهها بالغيث.

ضرب الله مثلاً للدنيا الفانية، وسرعة زوالها وانقضائها، بالغيث الذي ينبت به الله زرعًا فسرعان ما يخضَّر ويشتد، ثمَّ يهيج ويصفرَّ؛ ليصبح كالهشيم متحطمًا، تتطاير به الريح فلا تبقي له أثراً، وقد جاء بيان ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد: ٢٠].

وفي هذه الآية تشبيه الدنيا بالزرع الذي ينبته الغيث في سرعة تغيّره بعد حسنه، وتحطمه بعد ظهوره[(٢)].

قال الزمخشري: "أراد أن الدنيا ليست إلا محقراتٌ من الأمور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر، وأما الآخرة فما هي إلا أمورٌ عظامٌ، وهي: العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله. وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتهل، وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات، فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطامًا عقوبةً لهم على جحودهم، كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين"[(٣)].

وقد ضرب الله للدنيا مثلاً آخر فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ يعني: كمثل مطر نزل من السماء فينبت به الزرع، والنبات، أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ وفرحوا به، ثم يصبح بعد ذلك هالكًا، فشبّه الدنيا بذلك، لأنَّه لا يبقى ما فيها، كما لا يبقى هذا النبت فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ لمن افتخر بالدنيا، واختارها وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوانٌ لمن ترك الدنيا، واختار الآخرة على الدنيا.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٦/ ١٢٨٣).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٤٧).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٤٧٨).

والكفار هنا لها معنيان: الأول: يعني: الكفار بالله، لأنهم أشد إعْجابًا بزينة الدنيا من المؤمنين. والثاني: الْكُفَّارَ كناية عن الزراع، لأن الكَفْر في اللغة هو التغطية، ولهذا سُمي الكافر كافراً لأنه يغطي الحق بالباطل[(١)].

وما أحسن ما قاله الإمام الثعالبي في هذا المثال معلقًا عليه: "صورة هذا المثالِ أَنَّ الإنسانَ ينشأ في حجر مملكة فما دون ذلك، فيشُبُّ في النعمة، ويقوى، ويكسب المال والولد، ويغشاه الناسُ، ثم يأخذُ بعد ذلك في انحطاطٍ، ويشيب، ويضعف ويسقم، وتصيبه النوائب في ماله وذريته، ويموتُ، ويضمحلُّ أَمرهُ، وتصيرُ أمواله لغيره، وتتغير رُسُومُه فأمره مِثْلُ مطر أصاب أرضًا، فنبت عن ذلك الغيثِ نباتٌ معجبٌ أنيقٌ، ثم هاج، أي: يبس، واصْفَرَّ، ثم تحطم، ثم تفرق بالرياح واضمحل"[(٢)].

وفي الآية الكريمة بيان أنَّ عذاب الله شديد لأعدائه، ومغفرة من الله لأوليائه[(٣)].

وفي هذه الآية وعظٌ وتبيينٌ لأمر الدنيا وضعة منزلتها، وأنَّها حقيرةٌ أحقر منها قدراً طالبها وأقلّ منه خطراً المزاحم فيها، فما هي إلا مشغلة للعبد عن الآخرة[(٤)].

وفيها أنَّ الكفار بالله هم أشدُ إعجابًا بزينة الدنيا فالمؤمن إذا رأى معجبًا انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها، والكافر لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه إعجابًا[(٥)].

وفيها أنَّ الحياة الدنيا في هذه الآية: عبارة عن الأشغال والتصرفاتِ التي هي مختصة بالحياة الدنيا، وأَمَّا ما كان من ذلك في طاعة الله تعالى، وما كان في الضرورات التي تقيم الأود وتعينُ على الطاعات، فلا مدخلَ له في هذه الآية[(٦)].

---

(١) ينظر: تفسير السمرقندي (٣/ ٤٠٨). زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٢٣٦)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٣٦٠).

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٣٨٩).

(٣) لطائف الإشارات (٣/ ٥٤١).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٥/ ٢٦٦).

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ١٨٩).

(٦) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٣٨٩).

وبعد أنْ بيّن سبحانه حال المتقين الذين يؤمنون بالغيب، وبما أنزل إلى الرسول ﷺ وما أنزل إلى من قبله، وبيّن ما آل إليه أمرهم من الهداية والفلاح، أعقب هذا بشرح طائفةٍ ثانيةٍ وهم الكفرة الفجرة، وأبان أنّه قد بلغ من أمرهم في الغواية والضلال ألّا يجدي فيهم الإنذار والتبشير، وألّا تؤثّر فيهم العظة والتذكير، وقد جرت سنة الله في مثل هؤلاء الذين مردوا على الكفر أن يختم على قلوبهم فلا يبقى فيها استعدادا لغير الكفر، فحكم الله عليهم بالعذاب الأليم فى العقبى، وفقد العز والسلطان والخزي في الدنيا(١).

وفيها بيان عظمة بلاغة وإعجاز القرآن الكريم وحسن عرضه فبعد أن تحدثت السورة الكريمة عن حثّ المؤمنين على الخشوع لله، وعلى تذكر الموت، وعلى البذل في سبيل الله، جاءت لتبين لهم مصير الحياة الدنيا، وتدعوهم إلى إيثار الآجلة على العاجلة، والباقية على الفانية التي يُؤثرها ضعفاء العقول والنفوس على الآخرة الباقية، وهي سبب الإعراض عن الله، والبعد عن الخشوع، وحبها رأس كل خطيئة، وذلك كله في أسمى وأبلغ مثال يشاهدونه محسوساً وهو الغيث وما يؤول إليه نباته، وقد تكرر هذا التشبيه أو التمثيل في القرآن الكريم في مناسبات عديدة(٢).

وفي هذه الآية ضرب الله تعالى فيها مثلاً للحياة الدنيا، فالله تعالى كثيراً ما يضرب الأمثال في كتابه، وكذلك الرسول ‰ يضرب الأمثال في سنته، وذلك لأن المثل يقرب المعقول فيكون كالمحسوس، وكان كثيرٌ من السلف يبكي الواحد منهم إذا لم يعلم المثل، لقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣](٣).

---

(١) ينظر: تفسير المراغي (١/ ٤٦)، تفسير السعدي (ص: ٨٤١).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٢٧٢)، التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤/ ١٩٤)، صفوة التفاسير (٣/ ٣١٣)، التفسير الواضح (٣/ ٦١٩)، التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ٩٦٠).

(٣) شرح تفسير ابن كثير للراجحي (٥٨/ ٢).

المبحث الثاني

الآيات الواردة بمعنى الإغاثة

المطلب الأول: استغاثة المؤمنين يوم بدر

في يومٍ عظيمٍ من أيام الله العظمى، ومعركةٍ كبرى بين الحق والباطل، ونقطة تحولٍ فاصلةٍ في مسير الدعوة المحمديَّة، يوم التقى الجمعان، وأجلبت قريش بخيلائها وكبريائها وكثرتها، ورسول الله ﷺ وصحبه المؤمنون في ذلَّةٍ وقلَّةٍ، حتى إذا التقى الجيشان والتحم الصفان، هرع رسول الله ﷺ إلى الدعاء وطلب الغوث والعون والمدد من الله تعالى في مشهد رهيب وحال عجيب، صوره لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال: ٩].

هذه الآية نزلت يوم بدر، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: ((اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض))، فما زال يهتف بربه، مادا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال: ٩] فأمده الله بالملائكة، قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس، قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه، كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: ((صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة))، فقتلوا

يومئذ سبعين، وأسروا سبعين[(١)].

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، أي: تستجيرون به من عدوكم، وتدعونه للنصر عليهم[(٢)].

قال الطاهر ابن عاشور: "الاستغاثة: طلب الغوث، وهو الإعانة على رفع الشدة والمشقة ولما كانوا يومئذٍ في شدةٍ ودعوا بطلب النصر على العدو القوي كان دعاؤهم استغاثة، فاستجاب لكم، أي: وعدكم بالإغاثة، وفعل استجاب يدل على قبول الطلب، والسين والتاء فيه للمبالغة أي تحقيق المطلوب"[(٣)].

وقد وقع خلاف حول معنى الاستغاثة هنا، هل هو على معنى الاستنصار، أم الاستجارة، وقد أشار إلى ذلك الماوردي، حيث قال: "فيه وجهان: أحدهما: تستنصرون، الثاني: تستجيرون، والفرق بين المستنصر والمستجير أن المستنصر: طالب الظفر، والمستجير: طالب الخلاص، والفرق بين المستغيث والمستعين أن المستغيث: المسلوب القدرة، والمستعين الضعيف القدرة"[(٤)].

وهذا الخلاف في الحقيقة لا أثر له، حيث إنّه يمكن الجمع بين القولين، وأن المسلمين طلبوا الاستغاثة والاستجارة، ودعوا بالظفر وهو في معنى الخلاص، ولهجوا لربهم بالدعاء وطلب الغوث والمدد.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، (٣/ ١٣٨٣)، رقم (١٧٦٣).

(٢) ينظر: جامع البيان (١١/ ٥٠)، الكشف والبيان (٤/ ٣٣١).

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٢٧٤).

(٤) النكت والعيون (٢/ ٢٩٨).

المطلب الثاني: استغاثة الكفَّار في نار جهنَّم

ورد في بيان ووصف عذاب الكفار والمشركين في نار جهنم، وحالهم إذا عَطشوا عَطشًا شديداً؛ وذلك بسبب أكلهم الزَّقوم، وشربهم الحميم والغسَّاق، أنهم يطلبون الغيث والمدد، في مشهد من العذاب أليم؛ حيث يجابون إلى طلبهم هذا ولكن ليس بالماء العذب الزلال، وإنما يغاثون بهذا الماء الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩](١).

والمهل في اللغة: يطلق على ما أذيب من جواهر الأرض، كذائب الحديد والنحاس، والرصاص، ونحو ذلك(٢).

ويحتمل أن تكون هذه الاستغاثة لأنهم إذا طلبوا ماء للشرب فيعطون هذا المهل، كما قال تعالى: ﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةَۢ ٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ﴾ [الغاشية: ٤، ٥] ويحتمل أن يستغيثوا من حر جهنم فيطلبون ماءً يصبونه على أنفسهم للتبريد فيعطون هذا الماء، كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠](٣).

وقد أومأت الآية إلى شمول الأمرين، فقد ذكر وصفين لهذا الماء في قوله تعالى: ﴿يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ﴾، والإغاثة: مستعارة للزيادة مما استغيث من أجله على سبيل التهكم، وهو من تأكيد الشيء بما يشبه ضده(٤).

قال الشيخ الشنقيطي: "فإن قيل: أي إغاثةٍ في ماءٍ كالمهل مع أنه من أشد العذاب، وكيف قال

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٥/ ٢٤٨)، تفسير الكهف، للعثيمين (ص: ٦٣).

(٢) أضواء البيان (٣/ ٢٦٩).

(٣) مفاتيح الغيب (٢١/ ٤٦٠).

(٤) التحرير والتنوير (١٥/ ٣٠٨).

الله تعالى: ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾؟

فالجواب: أن هذا من أســاليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن، وإذا كانوا لا يغاثون إلا بماء كالمهل علم من ذلك أنهم لا إغاثة لهم البتة[(١)].

المطلب الثالث: استغاثة الرجل القبطي بموسى عليه السلام

في مشهدٍ عظيمٍ من المشاهد القرآنية العظيمة في سياق قصة موسى عليه السلام التي صورتها سورة القصص صورت لنا استغاثة الرجل القبطي بموسى عليه السلام جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥].

جاءت معنى الاســتغاثة في هذه الآية على المعنى اللغوي للكلمة، فإن الرجل الذي هو من قوم موسى -أي من بني إسرائيل- استنصر موسى عليه السلام على الرجل الآخر وهو -القبطي- وطلب منه العون في تخليصه منه[(٢)].

قال الطاهر ابن عاشور: "والاستغاثة: طلب الغوث وهو التخليص من شدة أو العون على دفع مشقةٍ. وإنما يكون هذا الطلب بالنداء فذكر الاستغاثة يؤذن بأن الإسرائيلي كان مغلوبا وأن القبطي اشتد عليه وكان ظالما إذ لا يجبر أحد على عمل يعمله"[(٣)].

ومن اللطائف التفسيرية في هذه الآية لكريمة:

١. جملة ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا كأن سائلا سأل: ماذا كان من أمر موسى حين فوجئ بموت القبطي، وحكاية ذلك للتنبيه على أن موســى لم يخطر بباله حينئذ إلا النظر في العاقبة الدينية. وقوله هو كلامه في نفسه.

---

(١) أضواء البيان (٣/ ٢٦٩)، بتصرف.

(٢) التفسير البسيط (١٧/ ٣٥٥)، تفسير السمعاني (٤/ ١٢٨)، مفاتيح الغيب (٢٤/ ٥٨٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٠/ ٨٩).

٢. هذا الفعل ناشئ عن وسوسة الشيطان وفيه دليل على أن الأصل في النفس الإنسانية هو الخير وأنه الفطرة وأن الانحراف عنها يحتاج إلى سبب غير فطري وهو تخلل نزغ الشيطان في النفس[(١)].

٣. في التعبير بقوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ يشير إلى أن موسى عليه السلام كان على جانب عظيم من قوة البدن، كما يشير أيضا إلى ما كان عليه من مروءة عالية، حملته على الانتصار للمظلوم بدون تقاعس أو تردد[(٢)].

٤. وقد بيّن الله تبارك وتعالى في هذه الآية الغم الذي عبر به عن حال موسى عليه السلام.

٥. في سورة طه وقد أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد (فنجيناك من الغم) قال: من غم قتل النفس[(٣)].

٦. بيان إنعام الله على موسى بالحكمة والعلم قبل النبوة والرسالة.

٧. مشروعية إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم.

٨. وجوب التوبة بعد الوقوع في الزلل، وأول التوبة الاعتراف بالذنب[(٤)].

المطلب الرابع: استغاثة الوالدين.

الوالدان شأنهما عند الله تبارك وتعالى عظيم، قرن حقه في العبادة بحقهما في الطاعة، ووصَّى بهما خيراً، وحذر من عصيانهما، وتوعَّد من عقوقهما، وجعل من أبشع صور العقوق أذيتها حال كبرهما أو أحدهما، وشبَّه حالهما حال أذيتهما في بالمستغيث الملهوف، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٨٩).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٣٨٧).

(٣) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٣/ ٣٥٨).

(٤) أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ٥٩).

جاءت معنى الاستغاثة في هذه الآية على المعنى اللغوي للكلمة.

فإن الله ﷻ يقص فيها حكاية والدين لولدهما الكافر، ونصيحتهما له بالإيمان بالبعث وتوحيد الله تعالى، وترك جحده والكفر به.

وهما في غمرة نصحهما للولد يطلبان التوفيق من الله تعالى، ويرجوانه في هداية ابنهما، دلالته لطريق الخير والسلام(١).

وقد ذكر بعض المفسرين -وهو الزمخشري- أن معنى الاستغاثة هنا هو الاستعاذة بالله من الولد ومن قوله، فقال: "يستغيثان الله يقولان: الغياث بالله منك ومن قولك، وهو استعظام لقوله ويلك دعاء عليه بالثبور، والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك"(٢).

وذكر مثله أيضا الرازي(٣).

والظاهر -والله أعلم- أن الاستغاثة هنا هو على القول الأول، وخلاف ما ذهب إليه الزمخشري والرازي؛ وذلك لأن المقام مقام نصح وشفقة والد بولده، وسياق الآية إنما هو في بيان عظم حق الوالدين على الولد، وكبير فضلهما عليه بعد فضل الله تعالى.

ويبعد في موضع النصح، وموطن الشفقة، سيما على فلذة الكبد، وقرة العين، رجاء هدايته وتوفقيه؛ أن يقال له ما يزيد من عناده، أو يبعده في ضلاله.

وفي هذا المعنى يقول الشيخ السعدي: "يستغيثان الله له استغاثة الغريق، ويسألانه سؤال الشريق، ويعذلان ولدهما، ويتوجعان له، ويبينان له الحق"(٤).

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢١/ ١٤٥)، النكت والعيون (٥/ ٢٨٠)، التفسير البسيط (٢٠/ ١٨٥).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣٠٤).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٨/ ٢٢).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٨١).

المطلب الخامس: يغوث الصنم الذي عبده قوم نوح عليه السلام.

ذكر الله تعالى أسماء الأصنام التي كانت تعبد في قوم نوح عليه السلام، ومنها الصنم يغوث، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((صـــارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف، عند ســبإ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نســر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أســماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلســون أنصــابا وســموها بأســمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنســخ العلم عبدت))[(١)].

واسم (يغوث) مشتق من مادة (غوث).

قال ابن دريد: "أمّا يغوثُ الصَّــنَم المذكور في القرآن فأظنُّ أنّ اشــتقاقَه من غاث يغوث غَوْثًا، فاستعملوا مصدرَه وتركوا تصريفَه، إلاّ أنّهم لم يقولوا إلاّ أغاثني، ولم يجئْ في الشِّعر الفصيح، وقد سمَّوا غَوْثًا، وغُوَيثًا، وغياثًا وهذه الياء التي في غياث مقلوبة عن الواو"[(٢)].

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾، (٦/ ١٦٠)، رقم (٤٩٢٠).

(٢) الاشتقاق (ص: ٩٦). وينظر: الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول (٣/ ٤٢٢).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد خلصت في نهاية هذا البحث إلى عدد من النتائج، وهي كما يلي:

أولا: أصل كلمة الغيث والإغاثة مشتق من الفعل الثلاثي (غوث).

ثانيا: المعنى اللغوي لأصل كلمة الغوث هو: طلب الإعانة، والنجدة.

ثالثا: سمي المطر غيثا؛ لما فيه من الإعانة وحصول الفرج.

رابعا: نزول الغيث من الأمور العظيمة والتي استأثر الله تعالى بعلمه.

خامسا: دلالة نزول المطر على توحيد الربوبية من أوجه عديدة، منها: التصرف في إرساله، ومكان ووقت نزوله، ومقداره.

سادسا: دلالة نزول المطر على توحيد الألوهية من أوجه عديدة، منها: أن المستجيب عند الشدائد هو الله تعالى، وأنه يقصد إليه عند الملمات، ويتوجه إليه عند الكربات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن: المؤلف: محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشـبيلي المالكي، راجع أصـوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشـر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٤.

٢. إرشـاد الأريب إلى معرفة الأديب= معجم الأدباء: المؤلف: شـهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٧.

٣. الأسـاس في التفسـير: المؤلف: سـعيد حوّى، الناشـر: دار السـلام - القاهرة، الطبعة: السـادسـة، ١٤٢٤ هـ، عدد الأجزاء: ١١.

٤. الاسـتيعاب في معرفة الأصـحاب: المؤلف: أبو عمر يوسـف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصـم النمري القرطبي، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشـر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٤.

٥. أسـد الغابة في معرفة الصـحابة: المؤلف: أبو الحسـن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشـيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٨.

٦. أسرار البيان في التعبير القرآني: المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي.

٧. الاشتقاق: المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

٨. أضـواء البيان في إيضـاح القرآن بالقرآن: المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م.

٩. الإكليل في استنباط التنزيل: المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠١ هـ.

١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

١١. أوضح التفاسير: المؤلف: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م.

١٢. الآيات الكونية دراسة عقدية- رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، إعداد: عبد المجيد بن محمد الوعلان، إشراف: عبد الكريم بن محمد الحميدي، الأستاذ المشارك، العام الجامعي: ١٤٣٢هـ/ ١٤٣٣هـ.

١٣. أيسر التفاسير: المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٥.

١٤. بحر العلوم: المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي.

١٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: المؤلف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٦.

١٦. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: المؤلف: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، الناشر: دار الكاتب العربي - القاهرة، عام النشر: ١٩٦٧م.

١٧. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ.

١٨. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول: المؤلف: أبو الطيب محمد صـــديق خان بن حســـن بن علي ابن لطف الله الحســـيني البخاري القِنَّوجي، الناشـــر: وزارة الأوقاف والشـــؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

١٩. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: الدكتور بشـار عوّاد معروف، الناشـر: دار الغرب الإسـلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٥.

٢٠. تاريخ دمشـق: المؤلف: أبو القاسـم علي بن الحسـن بن هبة الله المعروف بابن عسـاكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشـر: دار الفكر للطباعة والنشـر والتوزيع، عام النشـر: ١٤١٥ هـــ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٨٠.

٢١. تأويلات أهل السـنة: المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصـور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـــ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٢. التحرير والتنوير: المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠.

٢٣. التســهيل لعلوم التنزيل: المؤلف: أبو القاســم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشـر: شـركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

٢٤. التعريفات: المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشـراف الناشـر، الناشـر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٥. تفسير أحمد حطيبة: المؤلف: الشيخ الطبيب أحمد حطيبة.

٢٦. التفسـير البسـيط: المؤلف: علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسـابوري، الشـافعي،

المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، عدد الأجزاء: ٢٥.

٢٧. تفسير الشعراوي- الخواطر: المؤلف: محمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: ٢٠.

٢٨. تفسير القرآن العزيز: المؤلف: ابن أبي زمنين محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٥.

٢٩. تفسير القرآن العظيم: المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

٣٠. تفسير القرآن: المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٣١. التفسير القرآني للقرآن: المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.

٣٢. تفسير الكهف: المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٣٣. تفسير المراغي: المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، عدد الأجزاء: ٣٠.

٣٤. التفسير المنير: المؤلف: وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر- دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠.

٣٥. التفسـير الواضـح: المؤلف: الحجازي، محمد محمود، الناشـر: دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٣هـ.

٣٦. التفسير الوسيط: المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

٣٧. التفسير الوسيط: المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

٣٨. التفسير الوسيط: المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

٣٩. تهذيب الأسماء واللغات: المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

٤٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠، عدد الأجزاء: ٣٥.

٤١. تهذيب اللغة: المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.

٤٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي،

المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٤٣. التيسير في أحاديث التفسير: المؤلف: محمد المكي الناصري، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ٦.

٤٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦.

٤٥. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.

٤٦. الجدول في إعراب القرآن: المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ٣١.

٤٧. جماليات المفردة القرآنية: المؤلف: أحمد ياسوف، الناشر: دار المكتبى - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

٤٨. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٨ هـ.

٤٩. الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: المؤلف: زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣١٢ هـ.

٥٠. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن

حجر العســقلاني، المحقق: محمد عبد المعيد خان، الناشــر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدراباد، الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م، عدد الأجزاء: ٦.

٥١. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: المؤلف: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشــر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢.

٥٢. ذيل التقييد في رواة الســنن والأســانيد: المؤلف: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسـني الفاسـي، المحقق: كمال يوسـف الحوت، الناشـر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٢.

٥٣. روح المعاني في تفسـير القرآن العظيم والسـبع المثاني: المؤلف: محمود بن عبد الله الحسـيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦.

٥٤. زاد المسـير في علم التفسـير: المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشــر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٥٥. سير أعلام النبلاء: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشـراف الشـيخ شـعيب الأرناؤوط، الناشـر: مؤسـسـة الرسـالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ٢٥.

٥٦. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة: المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، الناشر: دار – دمشق، الطبعة: الثامنة – ١٤٢٧ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

٥٧. الســيرة النبوية: المؤلف: عبد الملك بن هشــام بن أيوب الحميري المعافري، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، عدد الأجزاء: ٢.

٥٨. شرح تفسير ابن كثير: المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي.

٥٩. الصحاح: المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٦٠. صفوة التفاسير: المؤلف: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٦١. القواعد والأصول وتطبيقات التدبر: المؤلف: خالد بن عثمان السبت، الناشر: دار الحضارة للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ – ٢٠١٦ م.

٦٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٤.

٦٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٠.

٦٤. اللباب في علوم الكتاب: المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢٠.

٦٥. لطائف الإشارات: المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.

٦٦. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م.

٦٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب

العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٦٨. المحكم والمحيط الأعظم: المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١١.

٦٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥.

٧٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن: المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، عدد الأجزاء: ٥.

٧١. معالم بيانية في آيات قرآنية: المؤلف: صالح بن عوّاد بن صالح المغامسي.

٧٢. معاني القرآن وإعرابه: المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٥.

٧٣. مفاتيح الغيب: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٧٤. مقاييس اللغة: المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦.

٧٥. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد الأجزاء: ٧.

٧٦. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

٧٧. موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب: المؤلف: جيرار جهامي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨ م.

٧٨. النكت والعيون: المؤلف: علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٦.

٧٩. النهاية في غريب الحديث والأثر: المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

٨٠. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي-جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ١٣.

٨١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، عدد الأجزاء: ٧.

فهرس الموضوعات

الملخـــص ٣٩٩
مقدمـــة ٤٠١
تمهيد في التعريف بالغيث والإغاثة ٤٠٥
المبحث الأول: الآيات الواردة في الغيث بمعنى المطر ٤٠٧
المطلب الأول: نزول الغيث من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ٤٠٧
المطلب الثاني: الغيث منَّة من الله تعالى على عباده وجميع خلقه. ٤١٣
المطلب الثالث: الغيث بشارة من الله تبارك وتعالى بعد الشدة والعسر. ٤١٧
المطلب الرابع: بيان حقارة الدنيا وسرعة زوالها وتشبيهها بالغيث. ٤١٩
المبحث الثاني: الآيات الواردة بمعنى الإغاثة ٤٢٢
المطلب الأول: استغاثة المؤمنين يوم بدر ٤٢٢
المطلب الثاني: استغاثة الكفَّار في نار جهنَّم ٤٢٤
المطلب الثالث: استغاثة الرجل القبطي بموسى ' ٤٢٥
المطلب الرابع: استغاثة الوالدين. ٤٢٦
المطلب الخامس: يغوث الصنم الذي عبده قوم نوح '. ٤٢٨
الخاتمة ٤٢٩
فهرس المصادر والمراجع ٤٣٠